

وجه بين حذائين

محمد الماغوط

القلوب الوحيدة تقذف من النوافذ
النهود المهجورة تُقذف من الحافلات
والطاولة الارملة
تمدّ رأسها من النافذة وتبكي

كلمات ارد دها كالمجنون
في المقاهي والخوانيت
تحت النجوم وتحت بصاق الملايين
دون ان يفهمني احد
لا طفل ولا طائر
لا وحش ولا انسان
من الصباح الى المساء وذقني ترتجف
وانا اغني :
لقد ضاع زمان النبوغ والانزلاق على السلام الطويلة
القمل على الازهار
القمل على حطام الطائرات
بُخيل لي انني اتهاوى على الارصفة

سأموت عند المنعطف ذات ليلة
 واصابعي تتلوى على الحجارة كديدان التفاح
 انني ارى نهايتي
 ألمح خنجراً ما في الظلام مصوباً الى قلبي
 عربة مطفأة
 تنقل طاولتي واوراقني الى عرض الصحراء

ستهب ريح قوية حينذاك
 نداعب اظافري القصيرة
 وتكنس قصائدي كقشور الخضروات
 ستنبت من لحمي آذان طويلة
 اسمع من خلالها الضربات الاخيرة لشعبي
 اسمع موسيقى الابواب المخلّعة
 وهي تغلق بالحراب
 بالاصابع المجلّدة على اطراف الشوارب
 سأأمل قدم الشرطي الغائصة في الوحل
 وهي تقلب وجهي على الجانبين
 ليعرف من انا
 من هذا الغريب الميت في شوارعنا

وعندما تهدأ رثائي
 وتغمضان كعينين جميلتين
 ويمتلئ صدري برائحة المطر والجدران الوحيدة كالانياب
 وما من جديلة تُبعثرها الريح فوق وجهي

وما من حلة تسقط كالدمعة فوق الصفحات
سأبكي بمرارة
سأعضّ الأرض التي اهانتني
سأغرس أسناني حتى اللثة في الأرض التي شردتني
واتذكر الأمشاط القذرة
والنهود المتشابكة كالأغصان في المنفى
وامي التي تنتظر أوتبي من النافذة
كأنني فراشة أو ذبابة

سأمرر يدي على خطوط الحافلات
وهي تبكي تحت ورق الخريف
على الأرضة التي تسكنت عليها
والأعمدة العديدة التي اتكأت عليها
واسمع قلبي وهو يهتف من أعماق الأرض المذنبة :
انتقم لبأسك وكفاحك
تذكر دموعك في باحة المدرسة
واصابعك التي اهترأت على قبضات الحقائق
تذكر شقيقاتك النحيلات
وأذانهم المثقوبة بالخيطان
ومت هكذا بين البحر والصحراء
بين الوحل وقمامات الأشعار
أيها الفلاح الذي له عجرة الملوك

يا غباراً من الحبر والدموع
 يخيل لي انني اكثر الاموات اينناً وكلاماً
 لقد جئت متأخراً الى هذا العالم
 كزائر غريب بعد منتصف الليل
 كان يجب ان اخلق مع اولئك الرومانسيين القدامى
 ذوي اللحى المتهدلة
 والياقات التي يأكلها العث
 ان اعيش في تلك الايام الغابرة
 سمكة او ملاحاً او صولجاناً
 اقطن عند اولئك المرايات الشقراوات
 في غرفة من القرميد الاحمر
 جواريرها من الازهار
 وجدرانها من مناقير البلابل وعيون الاطفال
 احمل ادواتي وكتبي خلف ظهري
 وهراوة في حزامي
 وامضي داخل الغابات الخضراء
 في الضباب والاوحوال والمستنقعات
 احتسي الخمر
 وآكل الحشائش والطيور النائمة
 وأقذف مع زجاجتي ومجبرتي
 كل ليلة خارج الحانات .